ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة
الإلهية من أن يتبع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي
وتثبيطا عن اقتراف ما يردي وقوله تعالى **وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات** أي الطاعات **أن لهم جنات** أي حدائق ذات شجر
ومساكن والمأمور به سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم
أو عالم كل عصر أو كل واحد يقدر على البشارة أي بشر الذين آمنوا
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وإيذانا بأنهم
أحق أن يبشروا ويهنأوا بما أعد لهم والبشارة الخبر الصادق السار أولا
فإنه يظهر السرور في البشرة لأن النفس إذا سرت انتشر الدم
انتشار الماء في الشجرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الأول
حتى لو قال الرجل لعبيده من يبشرني بقدوم ولدي فهو حر فأخبروه
فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعا فإن قيل
ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أجيب بأن ذلك
ورد على سبيل التهكم كقوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم وعطف
سبحانه وتعالى العمل على الإيمان مرتبا الحكم عليهما إشعارا بأن
السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين
فإن الإيمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل
الصالح كالبناء عليه ولا يجدي نفع تام بأس لا بناء عليه ولذلك قل
ما ذكرا مفردين وفي عطف العمل على الإيمان دليل على أن الصالحات
خارجة عن مسمى الإيمان إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه
ولا على ما هو داخل فيه وجمع سبحانه وتعالى الجنة لأن الجنات على
ما ذكر ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم
ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة

من

من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال
والعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق إذ لا يكاد المؤمن
أن يعمل جميع الصالحات واللام في لهم تدل على استحقاقهم إياها
لأجل ما رتب عليه من الإيمان والعمل الصالح فإنه لا يكافئ النعم
السابقة فضلا من أن تقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده ولا على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه
حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد
هاهنا استغناء بهذه الآية وأشباهها **تجري من تحتها** أي من تحت
أشجارها ومساكنها **الأنهار** كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة
على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود وقال
الجوهري الأخدود شق مستطيل في الأرض واللام في الأنهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري قال البيضاوي
أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى أنهار من
ماء غير آسن اه قال التفتازاني إنما يصح هذا لو ثبت سبق قوله تعا
أنهار من ماء غير آسن في الذكر اهـ والنهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد بالأنهار
ماؤها على حذف مضاف أو تسمية لها باسم مجراه مجازا وإسناد
الجري إليها مجازا كما في قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها **كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا** أي أطعموا من تلك الجنات ثمرة ومن صلة
**قالوا هذا الذي رزقنا** أي أطعمناه **من قبل** أي من قبل هذا في الدنيا
جعل الله سبحانه وتعالى ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس
إليه أول ما يرى فإن الطباع مائلة إلى المألوف ومستنفرة عن

Copyright © King Saud University